المحاضرة السادسة عشر: طرائق جمع البيانات:

- **تصنيف البيانات.**

تصنف البيانات إلى فئتين:

- بيانات أولية.
- وبيانات ثانوية.

المعلومات المجمعة باستخدام النموذج الأول يقال أنه تم جمعها من المصادر الأولية، في حين المصادر المستخدمة في النموذج الثاني تدعى بالمصادر الثانوية. كمثال تتضمن المصادر الثانوية بيانات التعداد للحصول على معلومات عن العمر، الجنس، بنية السكان، واستخدام سجلات المستشفيات لاكتشاف أنواع الأمراض والوفيات، واستخدام سجلات المنظمات للتثبت من نشاطاتها، وجمع البيانات من المصادر كالمقالات والجرائد، والمجلات، والكتب والدوريات للحصول على معلومات تاريخية وغيرها...

ومن جهة أخرى، المعرفة المباشرة كاتجاهات المجتمع نحو الخدمات الصحية، التأكد من الاحتياجات الصحية في المجتمع، تقويم برنامج اجتماعي، تحديد الرضا المهني للعمال في المؤسسة، التأكد من الخدمات المقدمة من طرف عامل ما كلها أمثلة للمعلومات المجمعة من المصادر الأولية. وعليه يمكن القول أن المصادر الأولية هي: " تلك المصادر التي تتواجد فيها البيانات بصفة أصيلة، ويقوم البحث هنا بجمع البيانات من تلك المصادر مستخدما أي من الأدوات الآتية: الاستبانة، المقابلة، الملاحظة) أما المصادر الثانوية فهي: " تلك المصادر التي تتواجد فيها البيانات مجمعة وجاهزة، ويقتصر دور الباحث هنا على تحليل تلك البيانات واستخلاص النتائج اللازمة لبحثه منها، وهذه البيانات قد تكون منشورة أو غير منشورة.

لا توجد أي أداة من أدوات جمع البيانات يمكن أن تزودك بمعلومات دقيقة وصادقة مئة بالمائة؛ إنّ نوعية البيانات المجمعة تعتمد على عدد من العوامل الأخرى، والتي سيتم مناقشها عندما نكون بصدد الحديث عن كل أداة. تكمن مهارتك كباحث في قدرتك على الأخذ بعناية العوامل التي يمكن أن تؤثر في نوعية بياناتك. واحدة من الاختلافات الرئيسية بين الباحثين الخبراء والمبتدئين يكمن في مدى فهمهم والقدرة على التحكم في تلك العوامل؛ وبالتالي يجب على الباحثين المبتدئين بأن يكونوا مدركين لها .

- جمع البيانات باستخدام المصادر الأولية:

توجد العديد من الطرق التي يمكن أن تستخدم في جمع البيانات الأولية، إنّ اختيار أداة ما إنّما يعتمد على: الغاية من الدراسة، والموارد المتاحة، ومهارات الباحث. في الكثير من الحالات عندما تكون أداة ما هي الأكثر ملائمة لتحقيق أهداف الدراسة لا يمكن استخدامها بسبب وجود قيود مثل: عدم توافر الموارد أو المهارات اللازمة. في مثل هذه المواقف ينبغي عليك أن تكون مدرك للمشكلات التي تفرض قيود على نوعية البيانات.

عند اختيار أداة ما من أدوات جمع البيانات، تؤدي الخصائص السيوسيواقتصادية والديموغرافية لمجتمع الدراسة دور هام في ذلك، وعليه ينبغي عليك أن تتعرف بشكل أكثر على تلك الخصائص كمثال: المستوى التعليمي، البنية العمرية، المكانة السوسيواقتصادية والخلفية العرقية. وإذا كان ذلك ممكنا؛ إنه من المفيد أن تعرّف السكان بالغاية أو الفائدة من الدراسة ... البعض من السكان ولعدد من الأسباب لا يشعرون بالارتياح مع أي أسلوب في جمع البيانات(المقابلات مثلا) ولا بالارتياح في التعبير عن آرائهم في الاستمارة. علاوة على ذلك، يستجيب المبحوثين ذوي المستوى التعليمي المنخفض بشكل مختلف مع طرق معينة في جمع البيانات مقارنة بذوي المستوى التعليمي العالي.

المحدد الهام الأخر لنوعية البيانات في دراستك هو طريقة توضيح غرض الدراسة وأهميتها للمستجوبين. ومهما يكن ينبغي عليك التأكد بأن المستجوبين مدركين بوضوح لأهمية الدراسة وغايتها. هذا الجزء هام عندما تستخدم الاستبيان في جمع البيانات، لأنه في حالة المقابلة تستطيع الإجابة على أسئلة المستجوبين ولكن في الاستبيان لا تكون لديك هذه الفرصة. وفيما يلي عرض للأدوات المذكورة سابقا مع نوع من المناقشة والتحليل:

1- الملاحظة:

-المفهوم:

تعتبر الملاحظة من أهم الأدوات المستخدمة في البحث الاجتماعي ومصدرا أساسيا لموضوع البحث. ورغم ذلك؛ إلاّ أنها من الأدوات الأقل استعمالا في البحوث الاجتماعية باستثناء علم الأنثروبولوجيا، الذي يعتبر هذه التقنية من أهم التقنيات وذلك من أجل الحصول على المعطيات والبيانات الميدانية، حيث تلجأ بقية العلوم الاجتماعية الأخرى إلى استخدام أداة الاستبيان أو الاستمارة أو المقابلة بشكل أكثر(سبعون سعيد: 2012، ص83).

وتعتبر الملاحظة واحدة من الطرائق المستخدمة في جمع البيانات الأولية، والملاحظة - بشكل هادف - هي: طريقة منهجية وانتقائية للمشاهدة أو الاستماع إلى التفاعل أو الظاهرة كما هي في عين المكان. وتعرف الملاحظة بأنها الرؤية بالعين مع تقصد الفحص والمراقبة (ريمون كيفي، لوك فان كامبنهود:1997، ص202). وهناك العديد من المواقف التي تكون فيها الملاحظة الأداة الأكثر ملائمة لجمع البيانات.كمثال: التعرف عن التفاعل الاجتماعي في جماعة ما، دراسة الأنماط الغذائية للسكان، التأكد من الوظائف المنجزة من طرف عامل ما، أو دراسة السلوك أو السمات الشخصية للأفراد. إنها مناسبة أيضا في المواقف التي لا يمكن فيها استخراج المعلومات الكاملة أو الدقيقة من الاستبيان، لأن المستجوبين إما غير ملزومين أو واعين للإجابات؛ لأنه من الصعب عليهم فصل أنفسهم عن التفاعل.

- **خطوات الملاحظة:** ويمكن ذكرها على النحو الآتي:

-تحديد موضوع ومحاور الملاحظة بدقة.

- تحديد وضبط العينة التي تجرى عليها الملاحظة (الفرد أو الجماعة) .

- ضبط طريقة التسجيل الملاحظات.

- التأكد من صدق ما يلاحظه الباحث، وذلك بمقارنة ملاحظاته بملاحظات غيره في الموضوع.

- **أنواع الملاحظة:** هناك نوعين من الملاحظات هي:

- **الملاحظة بالمشاركة:** وهي تلك الملاحظة التي تكون "أنت" بوصفك كباحث مشارك في نشاطات الجماعة بنفس الأسلوب الذي تبدو فيه كعضو فيها، سواء كانوا على دراية بأنهم محل للملاحظة أم لا. مثال: إذا أردت معرفة ردود أفعال الناس اتجاه المعوقين، يمكنك دراسة ردود أفعالهم من خلال القيام بالجلوس على المقعد بنفسك. أو إذا أردت دراسة حياة المساجين أدعي بأن تكون أحد المساجين لفعل ذلك .وفي هذا النوع من الملاحظة قد يفصح الباحث للمبحوثين عن دوره كملاحظ، ويتطلب ذلك كب ثقة المبحوثين، وقد لا يفصح عن ذلك كما سبق ذكره، وهذا النوع من الملاحظة سماه " إدوارد ليندمان" بالملاحظة بالمشاركة المستترة .

- **الملاحظة بدون مشاركة:** هذا النوع من الملاحظة يجري عندما تكون "أنت" بوصفك كباحث غير ملزم بالمشاركة في نشاطات الجماعة ولكن تبقى ملاحظ سلبي، تشاهد وتستمع لنشاطاتها وتسجل الخلاصات من خلال ذلك. مثال: إذا أردت دراسة الوظائف المنفذة من طرف المربيات في المستشفى أنت كباحث يمكنك أن تشاهد وتتبع وتسجل النشاطات كما هي موجودة في الواقع. وبعد انجاز العديد من الملاحظات والخلاصات يمكنك استخراج الوظائف التي نفذتها المربيات في المستشفى. أي جماعة مهنية ومهما كان مكان تواجدها يمكن ملاحظتها بنفس الأسلوب.

- **مشكلات تواجهنا مع الملاحظة كأداة في جمع البيانات:**

إن استخدامك للملاحظة كأداة في جمع البيانات قد تواجه فيها عدد من المشكلات والتي لا يفترض وجودها جميعا أو أي منها- بالضرورة- في كل المواقف. ولكن عليك كمبتدأ أن تكون مدرك لتلك المشكلات.

- عندما يصبح الأفراد أو الجماعات مدركين بأنهم تحت محل للملاحظة، يمكنهم أن يغيروا من سلوكهم، واستنادا إلى الموقف التغير يمكن أن يكون بالإيجاب أو بالسلب، بالزيادة أو بالنقصان.

- هناك إمكانية دائما لتحيز الباحث، فمن السهولة إدخال التحيز، وليس هناك طريقة سهلة لفحص الملاحظات والخلاصات المسحوبة. فقد يتأثر الباحث بالذاتية أو التحيز بسبب تعامله مع المبحوثين أو عدم عثوره على المعلومات أو البيانات التي يريد جمعها للموضوع، أو لكونه لم يتمكن من تفسير الظاهرة محل البحث.

- التصورات المستخرجة من الملاحظات يمكن أن تختلف من ملاحظ إلى آخر.

- هناك إمكانية لعدم إتمام الملاحظات أو التسجيلات والتي تختلف مع طريق التسجيل، فالملاحظ يمكن أن يشاهد بقوة على حساب تسجيل التفاصيل والمشكلة العكسية التي يمكن أن تحدث وهي عندما يأخذ الملاحظ ويركز على النقاط الجزئية قد يفوته جزء من التفاعل.

- قد تستغرق الملاحظة وقتا طويلا وجهدا وأموالا كبيرة من الباحث، ويكون الباحث عاجزا عن ذلك.

- **مو اقف يمكن أن تجرى فيها الملاحظات:** يمكن أن تجرى الملاحظة تحت شرطين"ظرفين": طبيعيا، أو تحت الضبط أو التحكم.

إن ملاحظة الجماعة في وضعها الطبيعي بدلا من التدخل في نشاطاتها تصنف كملاحظة تحت الظروف الطبيعية. أما إدخال مثيرات إلى الجماعة كفعل وملاحظة رد الفعل تسمى بالملاحظة تحت الضبط.

- **تسجيل الملاحظات:** هناك العديد من الطرائق لتسجيل الملاحظة، إنّ اختيارك لطريقة ما في التسجيل إنما يعتمد على الغرض من الملاحظة. دائما يجب عليك أن تضع في اعتبارك أن لكل طريقة ايجابياتها وسلبياتها.

- **السرد:** في هذا الشكل من التسجيل يسجل الباحث التفاعل بأسلوبه، وفي العادة يقوم بوضع ملاحظات مختصرة بينما هو يلاحظ في التفاعل، وبعد الانتهاء حالا من الملاحظة يضع الملاحظات المفصلة في شكل سرد. أضف إلى ذلك بعض الباحثين يمكن أن يترجموا التفاعل ثم يقومون باستخراج الاستنتاجات منه. الايجابية الأعظم لطريقة التسجيل بالسرد هي أنها تزودك برؤية عميقة عن التفاعل. وتكمن السلبية في أن- أي في طريقة السرد- الباحث يمكن أن يكون متحيز في الملاحظة، وعلاوة على ذلك التصورات والاستنتاجات المسحوبة من الملاحظات يمكن أن تكون هي الأخرى متحيزة. إضافة إلى ذلك إذا كان انتباه الباحث مركز على الملاحظة، فيمكنه أن ينسى تسجيل جزء مهم من التفاعل...وعليه ففي عملية التسجيل قد يكون جزء من التفاعل مفقود، ومن ثم هناك دائما إمكانية لعدم إكمال عملية التسجيل أو الملاحظة. زيادة على ذلك ومع اختلاف الملاحظين المقارنة في تسجيل السرد أو القصة يمكن أن يكون مشكلة .

- **المقياس:** في بعض الأوقات يفضل بعض الباحثين تطوير مقياس لمعدل الجوانب المختلفة من التفاعل أو الظاهرة. عملية التسجيل على المقياس توضع من طرف الباحث. المقياس يمكن أن يكون من اتجاه واحد أو اثنين أو ثلاث اتجاهات، وذلك بالاستناد إلى الغاية من الملاحظة كمثال الشكل الموالي صمم لتسجيل طبيعة التفاعل داخل جماعة – هناك ثلاث اتجاهات : ايجابي، سلبي، عادي.

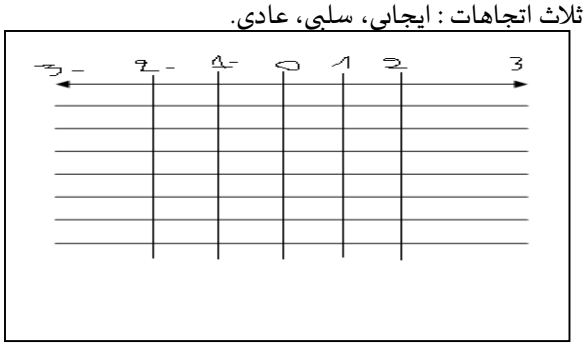

واحدة من المشكلات التي يمكن مواجهتها في استخدام مقياس لتسجيل الملاحظة، تكمن في أنه لا يزودنا بمعلومات عميقة عن التفاعل. أضف إلى ذلك، يمكن أن يواجه أحد المشكلات التالية:

- إذا لم يكن للملاحظ ثقة قصوى في قدرته في تقييم التفاعل، فقد ينزع إلى تجنب الوضعيات المتطرفة على المقياس باستعماله للأجزاء المركزية في غالب الأحيان. هذا الخطأ يدعى "خطأ النزعة المركزية"

- بعض الباحثين يفضلون مجالات معينة من المقياس، بنفس الطريقة يكون بعض الباحثين صارمين في وضع العلامات والبعض الآخر لا. وعندما يكون للملاحظين لديهم نزعة نحو استعمال أجزاء محددة من المقياس في تسجيل التفاعل يعرف هذا الخطأ بـ: أثر السمو/ الارتفاع".

- الصنف الآخر من الخطأ الذي يمكن أن يكون في المقدمة وهو حين تؤثر طريقة تقدير الباحث للفرد على جانب من التفاعل في طريقة تقديره لنفس الفرد على الجانب الآخر من التفاعل ثم شيء ما مشابه لذلك يمكن أن يقع للمدرسين حين يؤثر تقييم المدرس لأداء الطالب في موضوع ما في تقديره لأداء الطالب في موضوع آخر. هذا الصنف من الأثر يدعي " تأثير الهالة .

- التسجيل الفئوي:

في بعض الأحيان يقرر الباحث بأن يسجل ملاحظاته باستعمال فئات. يعتمد نوع وعدد الفئات على نوع التفاعل واختيارات الباحث لكيفية تصنيف الملاحظات. مثال: ثلاث فئات (دائما- أحيانا- نادرا) أو خمسة فئات (موافق بشدة- موافق- محايد- غير موافق- غير موافق بشدة). يواجه استخدام الفئات في عملية التسجيل المشكلات نفسها المرتبطة بالمقياس .

- التسجيل باستخدام الأجهزة الميكانيكية:

الملاحظات يمكن أيضا تسجيلها بالفيديو ثم نقوم بتحليلها. ميزة تسجيل التفاعل بالفيديو هو أن الملاحظ يستطيع أن يرى الفيديو في عدد من الأوقات قبل أن يقوم باستخلاص النتائج، كما بإمكانه أن يدعو متخصصين لرؤية اللقطات من أجل الوصول إلى استنتاجات أكثر موضوعية. ومهما يكن واحدة من السلبيات هو أن بعض الناس يمكن أن يشعروا بأنهم غير مريحين أو قد يتصرفون بشكل مختلف أثناء الكاميرا(المراقبة). ومن ثم التفاعل قد لا يعكس حقيقة الموقف.

إن اختيار طريقة معينة في تسجيل ملاحظاتك؛ إنما يعتمد على الغاية من الملاحظة، ومدى تعقيد التفاعل، ونوع الناس الملاحظين. إنه مهم بأن تضع في اعتبارك هذه العوامل قبل أن تقرر طريقة تسجيل ملاحظاتك.